فاناها اهل قرطاجنة وحدثت حرب طويلة بين المملكتين وارسلت مما لك اليونانيين عساكر لمعونة اهالي سيسيليا ثم اتى عليهم فرّوس ملك ابيروس واخذ اكثر مدنهم لكنهُ التزم ان يتركها لسبب الحرب الواقعة بينهُ وبين الرومانيين في ايطاليا ثم خاف اهل سيسيليا من الرومانيين الذين كانوا قد انتصروا في كل الجهات واقاموا عهدًا مع اهل قرطاجنة لكي يعينوا بعضهم بعضًا على الرومانيين واذ كانت سيسيليا قريبة الى ايطاليا لم يغفل الرومانيون عنها فارسلوا في وقت مناسب جيشًا واخذوها وهذه علة الحرب الاولى بين الرومانيين وقرطاجنة

الفصل الثامن والثلثون

في تاريخ الرومانيين القدماء

ان مدينة رومية تاسست سنة ٧٥٢ ق م وسميت بهذا الاسم من رومولوس بانيها وهو اول ملوكها وملك سبعًا وثلاثين سنة وقيل انهُ نوى ان يجعل نفسهُ ملكًا مستقلاً فخلعهُ الشعب ومزقوهُ اربًا. وبعد موتهِ خلفهُ نوما فمفيليوس فسن للشعب شرائع عديدة وعلمهم الزراعة وعدة صنائع نافعة وملك ثلاثًا واربعين سنة وخلفهُ طوليوس هستيليوس فكان محبا للحرب والغزو وبعد موتهِ انتخب الرومانيون انكوس مرتيوس ملكًا عليهم وخلفهُ تركوين الاكبر وخلف هذا سرفيوس فملك اربعًا واربعين سنة ثم قتلهُ صهرهُ المسمى تركوين الثاني وجلس مكانهُ فلما بلغ زوجتهُ ابنة

الملك المقتول هذا الخبر فرحت فرحًا عظيمًا بانتصار زوجها على ابيها حبًّا بالملك والرياسة وكان تركوين هذا جائرًا ظلومًا مرتكبًا الفواحش فلقبهُ الشعب بالمتكبر وكانوا يكرهونهُ جدًّا وبعد ان حكم نحو عشرين سنة طردوهُ مع عائلتهِ من رومية وسبب ذلك ابنهُ سكستوس فانهُ كان ذميمًا قبيحًا للغاية فمقتوهُ حتى لم يعد يمكنهم ان يحتملوا قباحتهُ ومعاصيهُ فنفوهُ مع ابيهِ سنة ٥٠٩ ق م واستلم زمام الحكومة بعدهُ قاضيان تلقب كل منهما بلقب قنصل وكان الشعب ينتخبون هولاء القناصل كل سنة واول من عُيّن لهذه الوظيفة بروتوس وكولاتينوس وكان بروتوس عادلاً محبًّا للوطن حتى انهُ حكم بموت ابنيهِ ولم يشفق عليهما بسبب جنايةٍ ارتكباها

الفصل التاسع والثلثون

في استيلاء الغاليين على رومية وحروب قرطاجنة الثلاث

انقسم سكان رومية الى اشراف وعامّة ومن الاشراف جميع ارباب المجلس العالي واكثر الاكابر وهم الذين انتخبوا القناصل ولذلك تقوّوا وعظمت شوكتهم فصاروا اصحاب الحل والربط فنشأ عن ذلك الفتن والمنازعات بين الطرفين حتى كادت تقع بينهما الحروب لكنهما اتفقا اخيرًا على ان ينتخب كل سنة خمسة اشخاص من وجوه العامة قضاةً في المحاكم فتحسنت بذلك احوال العامة وارتفع شانهم وانحطت سطوة الاشراف ثم اشتدت العداوة

بين الفئتين . فنهض في اثناء ذلك رجل من الاشراف اسمهُ كوربولانوس وكان بطلاً فشرع في ابطال منصب القضاة باذلاً الجهد في ذلك فقاومهُ العامة وحاربوهُ ونفوهُ من البلاد فذهب الى الفولسيين الذين هم من الدّ الاعداء للرومانيين واخذ يحرضهم على محاربة قومهِ واعدًا اياهم بالغلبة فانقادوا اليهِ واعرضوا عليهِ فرسانهم وابطالهم فانتخب منهم جيشًا عظيمًا وسار قاصدًا رومية فلما بلغ الرومانيون اقترابهُ منها اضطربوا وارسلوا في الحال بعض شيوخهم يستعطفون خاطرهُ فلم يصغَ لكلامهم واستمر في مسيرهِ ثم ارسلوا بعض خواص كهنتهم فوقعوا على قدميهِ ملتمسين ان يتحول عنهم ويغض النظر عن قبائحهم فلم يتمكنوا من تغيير مقاصدهِ . فنزل بعساكرهِ تجاه الاسوار واخذ يتفكر في ايجاد الطرائق المناسبة لمهاجمة المدينة واذا بسفارة ثالثة مؤلفة من نساء اشراف الرومانيين لابساتٍ ثياب الاحزان وفي مقدمتهنّ امهُ وامرأتهُ فاستغاثتا بهِ متضرعتين اليهِ ان لايكون سببًا لخراب وطنهِ وهلاك قومهِ فاشفق عليهما لتذللهما والتفت الى امهِ وقال لقد انقذتِ رومية ولكنكِ ستعدمين ولدكِ ثم نهض في الحال راجعًا الى مدينة انتيوم قصبة مملكة الفولسيين الذين لما بلغهم رجوعهُ عن رومية اضمروا لهُ الحقد وعند وصولهِ الى ابواب المدينة اماتوهُ

ولم تزل المملكة الرومانية تتعاظم قوتها في الداخل والخارج

ويزداد عدد سكانها وبقيت في زهوتها ورونقها الى ان دهمها الغاليون سكان فرنسا سنة ٣٨٩ ق م تحت قيادة الجنرال برنوس وحاصروا رومية فافتتحوها بعد مهاجمات عديدة. وكانت رومية يومئذٍ مدينة عظيمة فيها ابنية فاخرة وقصور شاهقة اعظمها وامنعها قصر الكابيتول فلما افتتح الغاليون المدينة ودخلوها تجمع في القصر المذكور اكابر شجعان الرومانيين وحاصروا فيهِ فهجمت عليهم الاعداء كالجراد واحاطوا بالقصر فلم يتمكنوا منهُ واستمر الحال على ذلك مدة. وفي بعض الليالي بينما كان عسكر الغاليين قد اقترب من ابواب الحصن والحراس نيام ايقظهم صياح رفقٍ من الاوز فحرّموا على انفسهم اكلهُ من ذلك اليوم. ولم يمضِ على ذلك وقت طويل حتى قام كاملّوس احد ابطال الرومانيين وفتك بالغاليين حتى قيل انهُ لم يرجع احدٌ منهم الى بلادهِ

وصرف الرومانيون اكثر اوقاتهم في محاربة الدول والممالك الاجنبية فبرعوا في فن الحرب وظفروا كثيرًا في حروبهم حتى اخضعوا اخيرًا ولايات ايطاليا ومالكها واستولوا عليها

ثم حارب الرومانيون قرطاجنة بعد ان بنوا نحو مئة سفينة وانتصروا عليهم وغنموا منهم خمسين مركبًا ثم زادوا عدد سفنهم حتى بلغت ٣٠٠ سفينة وانتصروا على القرطاجنيين ثانيةً وغنموا منهم ستين مركبًا واستولوا على جزيرتي كورسيكا وسردينيا. ثم

قصدوا افريقية ونزلوا على مدينة قرطاجنة تحت رياسة القنصل ريغولوس وحاصروها حتى كادوا يتملكونها لولا مساعدة اهل اسبرطه الذين امدوا اهل قرطاجنة بجيش فانكسر الرومانيون وأُسِر قائدهم ريغولوس فارسلهُ القرطاجنيون الى رومية لكي يعرض على دولتهِ شروط الصلح. وعند وصولهِ الى رومية حرض الرومانيين على عدم قبول المصالحة بان طلب قرطاجنة صادر عن عجز وضعف . ثم عاد الى قرطاجنة لئلاَّ يناقض قولهُ فقتلوهُ وانتهت الحرب الاولى بعد دوامها ٢٤ سنة. وعند نهاية هذه المدة قام هنيبال بن هملكار رئيس جيش قرطاجنة في الحرب الاولى وحاصر احدى مدن اسبانيا التي كانت متحزبة للرومانيين مدة سبعة اشهر. ولما اشتد حصارها احرقها اهلها بالنار خوفًا من وقوعها في ايدي الاعداء . ثم تقدم هنيبال الى داخل البلاد قاطعًا جبال الالب الى شمالي ايطاليا وحارب الرومانيين في وسط بلادهم وانتصر عليهم في جملة وقائع وذبح منهم عددًا لا يحصى وقيل انهُ ارسل اربعة ربوع من خواتم ذهب نزعها عن اصابع القتلى وبقي نحو ١٢ سنة في ايطاليا لكنهُ لم ينجح النجاح التام لعدم الامداد. ثم جهز الرومانيون جيشًا عظيمًا تحت راية شيبيو الافريكاني فاستخلص املاك قرطاجنة من اسبانيا ثم تقدم في السفن الى سواحل قرطاجنة فلما راى اهلها الاخطار المحدقة بهم ارسلوا واستدعوا هنيبال لنجدتهم

فارتد راجعًا بعد مشقات لاتوصف فالتقى هذان البطلان في مرج واسع من سهول افريقية واستعرت نار الحرب بين الفريقين ودارت الدائرة على عساكر قرطاجنة فانهزمت بعد ان قُتِل منها عددٌ عظيم. ثم انعقد الصلح بشرط تسليم القرطاجنيين جزائر البحر المتوسط مع سيسيليا واسبانيا وجميع مراكبهم ما عدا عشرة منها الى الرومانيين وبعدم اثارة حرب الاَّ باذن رومية وهكذا انتهت الحرب الثانية التي دامت ١٧ سنة

وبعد ٦١ سنة اي سنة ١٤٩ ق م شبت الحرب الثالثة بين قرطاجنة ورومية وسببها ان ملك نوميديا التي هي الآن جزء من بلاد الجزائر كان بينهُ وبين رومية محالفة وعهود فاختلس بعض الولايات التابعة قرطاجنة فقام عليهِ القرطاجنيون وحاربوهُ فغضب الرومانيون لمخالفتهم العهود باثارة الحرب بدون اذن رومية وصمموا على محاربتهم وخراب المدينة عن اخرها فجندوا الجنود وارسلوها تحت قيادة شيبيو فحاصرها وافتتحها بعد حرب اربع سنين ثم احرقها بالنار وكان ذلك سنة ١٤٥ ق م

ثم رجع شيبيو الى رومية منصورًا فالبسوهُ اكاليل الغلبة والانتصار

الفصل الاربعون

في اخبار سيلا ومارتيوس الى قتل يوليوس قيصر

انهُ في سنة ٩١ ق م حارب الرومانيون ولايات ايطاليا المجاورة لهم فاخضعوها ثم حاربوا متريداتوس ملك بنطس وبعد اربعين سنة انتصروا عليهِ انتصارًا تاما وفي اثناء تلك الحرب قام في رومية قائدان شهيران وهما ماريوس وسيلاً فتحزّب لكل منهما قوم من الاهالي فوقعت بينهما الغيرة والعداوة حتى الجاهما الحال الى القتال فحدث من ذلك حربٌ اهلية استمرت مدة طويلة وكانت الدائرة اولاً على ماريوس وجموعهِ لكنهُ انتصر اخيرًا على خصمهِ وهزمهُ واستولى على رومية ثم انتقم من اخصامهِ فحدثت مذبحة عظيمة بين الاهالي قُتِل فيها كثيرون من ارباب الوظائف والمجالس والاشراف في الاسواق . اما ماريوس فبارتكابهِ هذا العمل وبخهُ ضميرهُ ليلاً ونهارًا ولكي يتخلص من ذلك انصب على شرب المسكرات ليسلي نفسهُ فاصيب بحمى شديدة صرمت حياتهُ . ولما بلغ سيلاً موتهُ قصد رومية بجيش جرار فامتلكها ودعا نفسهُ الحاكم المطلق وسلك كسالفهِ في قتل المتحزبين عليهِ لكنهُ بعد برهة قصيرة خلع نفسهُ عن معاطاة الاحكام ففرح الجميع بذلك لانهم كانوا يكرهونهُ ثم مات بعد ذلك بقليل

وبعد موت سيلا قام في رومية قائدان عظيمان احدهما بومبيوس والاخر يوليوس وكان بومبيوس قد افتتح خمس عشرة مملكة واخذ ثمان مئة مدينة وتغلب على متريداتس واما يوليوس فكان قد اثار حروبًا كثيرة على فرانسا وجرمانيا وبريطانيا وقيل انهُ انتصر في حروبهِ على ثلثة ملايين من الناس وقتل نحو مليون منهم. ثم داخل هذين الحسد والطمع وظهرت بينهما العداوة فانقسم الشعب الى حزبين حسب اغراض القائدين فانفرد كل منهما بحزبهِ واقتتلا في فرسالیا. وكان قسمٌ كبير من جيش بومبيوس من اشراف الرومانيين الاحداث فلم يستطيعوا الوقوف امام فرسان يوليوس فولوا منهزمين فانتصر يوليوس على عدوهِ انتصارًا عظيمًا وهرب بومبيوس الى مصر فقتل هناك وأُتي براسهِ الى يوليوس فحزن على موتهِ وناح عليهِ لكنهُ لم يرد ان يراهُ. وفرح ارباب المجلس الروماني بانتصارهِ ومنحوهُ السلطة المطلقة ما دام حيًّا ولقبوهُ بقيصر وحكموا على شخصهِ بالقداسة فصنعوا لهُ تمثالاً واقاموهُ بين تماثيل الالهة في الكابيتول بقرب تمثال المشتري وكتبوا عليهِ تمثال قيصر نصف الاله. ولما راى قيصر اعتبار الشعب اياهُ لم يرغب الاَّ في ان يسمي نفسهُ ملكًا فوجه افكارهُ لاستمالة رضا الشعب والعساكر واخذ ينفق المبالغ الوافرة في الولائم وانواع المسرَّات لاستجلاب خواطرهم نحوهُ فمن ذلك وليمة عظيمة دعا اليها جميع الجيش الروماني فكان ممدودًا في

اسواق رومية ٢٣ الف مائدة مملوة بالاطعمة اللذيذة والخمر المشروبات ولم يُمنَع احدٌ من الجلوس سواءٌ كان صعلوكًا ام حقيرًا فسلموا اليه بما اراد واذ كان متصفًا بالصفات الحميدة والحذاقة نسوا انهُ خدعهم بهذه التملقات واعدمهم حرية بلادهم فسروا بمشاهدتهِ في المواسم والولائم العمومية جالسًا على عرشٍ ذهبي وعلى راسهِ اكليل مرصع بالجواهر

ولكن مع ذلك لم يخلُ الامر من وجود بعض الرومانيين الذين استمروا متمسكين بمحبة الحرية محبة مجردة فكان بعضهم يبغض قيصر لظلمهِ وبعضهم حسدًا وغيرةً من تقدمهِ فاتفقوا على قتلهِ واسرعوا في استعمال الوسائط لاهلاكهِ وكان رئيسَي هذه الفتنة بروتوس وكاسيوس وكان بروتوس محبا لقيصر ومحبوبًا منهُ غير انهُ راى ان واجباتهِ لتحرير وطنهِ تلزمهُ ان يتظاهر بقتل صديقهِ واما كاسيوس ففضلاً عن رغبتهِ في تحرير البلاد كان يبغض قيصر ويتمنى هلاكهُ حسدًا على عظمتهِ . وكان اكثر من ستين من اعضاء السناتوس في هذه الفتنة . فلما اتى اليوم المعين لقتلهِ دخل قيصر السناتوس حسب عادتهِ وجلس فاحاطوا بهِ وضربوهُ واما هو فرد عن نفسهِ بكل شجاعة حتى راى بروتوس بين الخائنين فقال وانت ايضًا يا بروتوس ثم التف بردائهِ ومات بعد ان جُرِح ٢٣ جرحًا في السنة السادسة والخمسين من عمرهِ والرابعة عشرة بعد حروبهِ في غاله وبعد حصولهِ على

السلطنة العظمى بخمسة اشهر وذلك سنة ٤٤ ق م

واصلح قيصر هذا الحساب السنوي الذي كان قد اختلف كثيرًا عما كان في ايام نوما فمفيليوس فان نوما كان قد قسم السنة الى ٣٥٤ يومًا ولكن اذ كان هذا العدد ناقصًا عن عدد ايام السنة الحقيقية ١٠ ايام و٦ ساعات التزموا ان يزيدوا ثلثة اشهر لكل سنة وسموا تلك السنة كبيسة. وسلّم وضع هذه الزيادة للكهنة الذين وضعوها ام لم يضعوها حسب ارادتهم فحصل من ذلك اختلاف زائد عما كان في ايام نوما . اما قيصر فاذ كان عالمًا في علم الهيئة وعلم ان السنة الكاملة هي ٣٦٥ يومًا و٦ ساعات زاد على سنة نوما ١٠ ايام ولئلاّ تضيع الست ساعات حكم بزيادة يوم كامل في كل سنة رابعة في اخر شهر شباط. وزيّن ايضًا مدينة رومية وحفر ترعًا في الاجام البنطينية التي افسدت مناخ رومية بالبخارات السامة الصاعدة منها وجمع مكاتب وعمر مينا على مصب نهر طيبر

الفصل الحادي والاربعون

في ما جرى بعد موت يوليوس

اما الشعب الروماني فلم يوافق الخائنين على قتل يوليوس قيصر وكان مرقس انطانيوس حينئذٍ قنصلاً وليبدوس امير الفرسان فجمع مرقس انطانيوس الشعب وخاطبهم وكشف امامهم جثة قيصر وحرضهم على قاتليه حتى التزموا ان يهربوا

من رومية ويختفوا في اطراف المملكة وقصد انطانيوس بذلك ان يرتقي الى الدرجة التي سقط منها قيصر وكان قد حصل على ذلك لولا وصول اقتاويوس قيصر حينئذٍ الى رومية وعمرهُ ١٨ سنة وكان عند قيصر المتوفى بمنزلة الابن اذ كان حفيد اختهِ ولما اتى هذا وادعى بقرابتهِ لقيصر احتضنهُ الشعب حالاً ثم اتفق انطانيوس واقتاويوس وليبدوس على انقسام السلطنة بينهم فاخذ انطانيوس غاله واقتاويوس افريقية والجزائر وليبدوس اسبانيا اما ايطاليا فبقيت مشتركة بينهم واما الاملاك الشرقية فكانت بيد بروتوس وكاسيوس واخرين من الخائنين الذين كانوا في ثراقيا ومعهم جيش عددهُ مئة الف مقاتل فصار الاتفاق على ان يمضي انطانيوس واقتاويوس بجيش الى مقاتلة بروتوس ومن معهُ غير انهم قبل ذلك قتلوا كل من ظنوا فيهِ سوءًا ومنهم سيسيرون الخطيب ثم تقدما الى مكدونيا والتقى الجيشان بقرب فيلبي وكانت النصرة لاقتاويوس وانطانيوس ولما راى بروتوس وكاسيوس ذلك وقع كلٌّ منهما على سيفهِ ومات

ثم مضى انطانيوس الى اسيا لكي يجمع خراجًا ولما كان في كيليكيا استدعى كليوباطرة لتجاوب عن نفسها لانها سعت لوالي قبرس ان يرسل ذخائر الى كاسيوس وبروتوس فاتت اليهِ باحتفال عظيم فمن حسنها وحيلها صار انطانيوس اسيرها عوض

ان تكون هي اسيرهُ ونحي كل شيء سواها فوهبها سورية ومصر وقبرس وافريقية وطلق امرأتهُ اخت اقتاويوس لكي يتزوج بها

ثم ان بمبيوس الاصغر كان قد اختلس سيسيليا وسردينيا وكورسكا فمضى اقتاويوس الى هناك واقام على جيشهِ مرقس اغريفوس الذي انتصر على بمبيوس الاصغر فهرب الى اسيا فقتلهُ هناك بعض اسرى انطانيوس. وقصد اقتاويوس ان يتخلص من شريكيهِ فاحتال بعساكر ليبدوس حتى اتوا اليه ولما راى ليبدوس عدم استطاعتهِ على مقاومة خصمهِ مضى الى ضيعة حقيرة وبقي هناك الى آخر حياتهِ ثم استعد اقتاويوس لمحاربة انطانيوس وجرى بينهما وقعة بحرية انتصر فيها اقتاويوس وهرب انطانيوس وكليوباطره الى مصر فتبعهما اقتاويوس الى هناك فراسلتهُ كليوباطره وعرضت عليهِ مصر بدون معرفة انطانيوس ظانة انها تصطاد اقتاويوس كما فعلت بخصيمهِ فاظهر لها القبول فسلمت لهُ سلطنة مصر ثم تقدم الى بيلوسيوم المسماة الآن دمياط فسلمها واليها بامر الملكة ثم سلمت المراكب كافةً . فلما راى انطانيوس ان ملكتهُ قد خانتهُ وقع على سيفهِ فمات . ولما رات كليوباطره ان اقتاويوس غدر بها ولم يحسبها الاَّ اسيرًا قتلت نفسها اثلا تؤخذ الى رومية وعاد اقتاويوس الى رومية وهو وحدهُ راس المملكة الرومانية فانتهت الجمهورية الرومانية بجلوسهِ على كرسي الملك سنة ٣١ ق م

الفصل الثاني والاربعون

في علوم الرومانيين وبعض مشاهيرهم

ان الرومانيين اتّصفوا في عصر ملوكهم وفي اوائل مملكتهم بشدة الباس وبالشجاعة وبساطة العيشة وبعدم المبالاة باللذات الطبيعية وبمحبة الوطن والرغبة القوية في اتساع مملكتهم وتشييدها وكانت هذه الاوصاف علة امتداد الحكم الروماني من المتسلط على مدينة واحدة الى ان اكتنف جزءًا عظيمًا من العالم المعروف حينئذٍ فلم تنقص عنايتهم بتعليم الاولاد وتربيتهم عما قيل في اهل اسبرطه من ذلك غير ان ليكورغوس مشترع اسبرطه وضع قوانين وشرائع في ما يخص الصغار. اما نوما المشترع الروماني فترك ذلك لارادة الوالدين. ففضائل الامهات الرومانيات واجتهادهنّ بحسن تربية اولادهن قد استحقت الشكر في جميع العصور لانهُ فضلاً عن استعمال الوسائط لتقوية الجسد قصدنَ ايضًا تهذيب العقل واعتنينَ على الخصوص بتحسين الكلام وفصاحة اللفظ فمنعنَ الاولاد عن معاشرة العبيد وادنياء الشعب لئلاّ يكتسبوا شيئًا من الاقوال الرذيلة عالمات ان الكلمات السيئة تفسد الاخلاق الجيدة. ثم عندما اتسعت المملكة وبطل الحكم الملكي وصار السلطان الاعظم بيد الشعب والسناتوس اعتنوا كثيرًا بدرس الفقه ولم يُعتبَر

بينهم الاَّ من كان فقيهًا وخطيبًا فصيحًا . واذ كان الانشاء واسطة عظيمة لاكتساب الفصاحة اجتهدوا فيهِ كثيرًا فبلغوا من جراهُ الى درجة سامية من العلوم الادبية كافةً واشتهر بعضهم في العلوم الرياضية ايضًا وقد بقي من تصانيفهم في الشعر والتاريخ والفلسفة الى هذه الايام ما يُضرَب بهِ المثل ومن شعرائهم انّيوس كتب قصيدة تاريخية في حروب رومية وقرطاجنة وقصيدة يمدح بها شيبيو الاكبر لم يبقَ في ايامنا الاَّ بعض القطع منهما ومنهم فلاوطوس وسيسيليوس وترنتيوس ولكن اشهرهم فرجيليوس وهورانيوس عاشا في عصر اوغسطس قيصر. ومن اشهر مورخيهم يوليوس قيصر وتاسيتوس وغيرهما . وبقي الى ايامنا خطبٌ لسيسيرون وكتابٌ لهُ في الفصاحة وآخر في الوظائف ولافلينيوس بعض اسفار في الطبيعيات. ومن شعرائهم اوفيد يوس فكتب كثيرًا في خرافاتهم الدينية وبقي من اشعارهِ كتابٌ سُمّي المسوخ لانهُ يذكر قصص اشخاص قد ظن ان الالهة مسخوهم الى صور مختلفة

الفصل الثالث والاربعون

في تاريخ الرومانيين تحت تسلط اوغسطس قيصر الى طيباريوس

قد تقدم ان المملكة الرومانية استقرت في يد اقتاويوس قيصر بعد نصرتهِ على انطانيوس فلُقّب اوغسطس اي الموقر واكرمهُ الشعب والسناتوس اكرامًا دينيًا وسموهُ امبراطورًا

وعمروا له هياكل وقدموا على مذابحها قرابين وذبائح اكرامًا له . واذ تذكر ما اصاب يوليوس وغيرهُ ممن اظهروا ميلاً الى اختلاس السلطان الاعظم من الشعب اظهر زهدًا كليًّا في الحكم وطلب ان يُقدم له اكرام الشعب في اطراف المملكة فقط اي من الذين ليسوا اصلاً رومانيين وادَّعى انهُ لم يُرِد ان يحسب في رومية الاَّ كواحد من الرعايا مقلدٍ من قبل الشعب الروماني لاجل خير المملكة وحفظ سلامتها واجراء احكامها وصيانة حقوق اهاليها وحريتهم واذ لم يكن له خصيم عمَّ الصلح المملكة باسرها وحصل سرور عند الجميع . وزادت بعد ذلك وجاهتهُ وتمكنت قوتهُ فقوَّم اشياء كثيرة منحرفة وادخل تراتيب مفيدة وحسنة آلت الى اثبات السلطان في يدهِ . ومع ذلك لم يكن في أمنٍ على نفسهِ وكان موت يوليوس دائمًا تجاه عينيهِ . وفي السنة السادسة والعشرين من ملكهِ وُلِد في بيت لحم اليهودية ربنا ومخلصنا يسوع المسيح قبل السنة الاولى من التاريخ المسيحي باربع سنين

وكان اوغسطس قد تزوج بارملة اسمها ليثيا وكان لها من زوجها الاول ابنٌ اسمهُ طيباريوس واعطاهُ اوغسطس ابنتهُ زوجةً وجعلهُ شريكًا له في الحكم وطلب من الشعب ان يجعلوهُ رئيسًا على اقاليم افريقيا الشمالية وبيثينيه وبنطس وبلاد اليونان ومكدونيا وايليريا ودلماطيا وكريد وسيسيليا وسردينيا فاجابوهُ

الى ذلك . وبعد برهة قليلة توفي اوغسطس في مدينة نولا في كمبانيا في السنة السادسة والسبعين من عمره وفي وصيته عين طيباريوس خليفةً له

واما طيباريوس فلم يكن محبوبًا عند الشعب الروماني لرداءة طبعهِ ومرارة لسانهِ وتولعهِ بالفواحش . ومع ذلك وقع خوفهُ في قلوبهم فاخضعوا لهُ كما اخضعوا لاوغسطس قبلهُ وكان طيباريوس وقتئذٍ في ايليريا ولما بلغهُ موت اوغسطس عاد راجعًا الى رومية فارسل السناتوس وكلاء من اعضائهم ليلاقوهُ فيعرضوا عليهِ الملك فقبلهم باظهار الانضاع والزهد في السلطنة وتشكى من ثقل امور المملكة وعدم استعدادهِ لقبول تلك الوظيفة وبعد ما اكتفى من تضرعهم اليهِ ولجاجتهم سلم لارادتهم وكان ذلك سنة ١٤ ب م ولما استقر الملك في يدهِ اجرى الاحكام حسب مشيئتهِ وقلما التفت الى الشعب والى السناتوس ولما راى نجاح جرمانيكوس ابن اخيهِ في الحروب مع اهل جرمانيا اخشى من وجاهتهِ فاسترجعهُ من جرمانيا وارسلهُ الى الشرق وهناك قتل مسمومًا ويُظَن ان ذلك كان بامر طيباريوس

ثم ان الجنود الذين عينهم روميولوس لحفظ الملك كان عددهم حينئذٍ عشرة الاف رجل من ابطال عساكر المملكة ودُعوا الاجناد الشحنية وكان رئيسهم رجلٌ اسمهُ سجانوس فاتخذهُ طيباريوس نديمًا لهُ واظهر لهُ كل ما في قلبهِ فاراد سجانوس

ان يجعل محبة الملك تؤول الى تعظيمهِ وقصد ان يحوائر القياصرة ويضع نفسهُ مكانهم فقتل دروسوس بن طيباريوس خفيةً وحرّض الملك ان ينفي ارملة جرمانيكوس وابنيها ولم يمر يوم لم يشتكِ فيهِ سجانوس على بعض الاكابر او يدعِ عليهم بالخيانة او بذنب آخر فحامر الملك بقتلهم ثم خاف على نفسهِ فحثهُ سجانوس ان يترك رومية فمضى الى جزيرة كبري بقرب نابولي وهناك سلم ذاتهُ الى اللذات الطبيعية على نوعٍ يفوق الوصف . وكانت جميع امور المملكة في يد سجانوس فلم ينقص عن الملك الا بالاسم فقط ولما قصد ان يقتل طيباريوس انكشفت خيانتهُ فقُبِض عليهِ ومُزّق جسدهُ اربًا اربًا وطُرِح في نهر طيبر

ثم ان اوغسطس كان قد ملك على فلسطين هيرودس الكبير ولما توفي هيرودس انقسم ملكهُ بين اولادهِ فاخذ ارخيلاوس اليهودية وهيرودس الجليل وفيلبس الاراضي الواقعة شرقًا وشمالاً من بحر طبرية واذ كان ارخيلاوس ظالمًا رديا اشتكى عليهِ اليهود فدعاهُ اوغسطس اليهِ ثم نفاهُ الى ڤينا وولى على اليهودية ولاةً اولهم كيرينوس سنة ٧ ب م وخامسهم بيلاطس البنطي من قبل طيباريوس

وفي السنة الثامنة عشرة من ملك طيباريوس في ولاية بيلاطس صُلِب في اورشليم ربنا يسوع المسيح كفّارة عن خطايا البشر.

قال يوسيفوس المؤرخ اليهودي في الكتاب الثامن عشر من تاريخهِ في الفصل الرابع منهُ بعد الكلام في اعمال بيلاطس والي اليهودية كان ايضًا في هذا الوقت رجلٌ اسمهُ يسوع ان جاز ان يُدعَى انسانًا وكان صانع عجائب كثيرة ومعلمًا للذين ارادوا ان يتعلموا الحق وكان لهُ تلاميذ كثيرون من اليهود والامم وهو المسيح الذي اشتكى عليهِ روَساؤُنا واكابرامتنا وسلمهُ بيلاطس البنطي للصلب ومع هذا كلهِ لم يتركهُ الذين تبعوه من البداءة وقد نُظِر اليهِ حيًّا ثلثة ايام بعد صلبهِ كما كان قد تنبأ بعض الانبياء وصنع معجزات أُخَر كثيرة ولم يزل الى يومنا بعضٌ يُدعَون مسيحيين يعترفون بهِ رئيسًا لهم. انتهى

وكان قائد العساكر الشحنية بعد موت سجانوس رجلٌ اسمهُ مكرو فلما مرض طيباريوس في مدينة سينم خنقهُ مكرو في السنة الثالثة والعشرين من ملكهِ والثامنة والسبعين من عمرهِ

الفصل الرابع والاربعون

في تاريخ الرومانيين تحت تسلط كليغولا الى تيطس

ان طيباريوس عين خليفةً لهُ كليغولا بن جرمانيكوس وكان محبوبًا عند الشعب حبًّا بابيهِ فاظهر في بداءة ملكهِ لطفًا ورغبةً في خير الجمهور وراحة الشعب. وبعد برهةٍ يسيرة شرع يظلم حتى كرههُ الشعب فقتل مكرو المذكور سابقًا لانهُ خاف منهُ وقتل ايضًا كل من وقعت عليهِ تهمةٌ بدون فحص واذ كان

هو من نسل مرقس انطونيوس واوغسطس قيصر جعل ذلك سببًا للقساوة والظلم فقال ان كل الذين لم يحفظوا عيد وقعة اكتيوم التي انتصر بها اوغسطس على انطونيوس يقاصهم لكونهِ من نسل اوغسطس المنتصر في تلك الوقعة والذين حفظوهُ يقاصهم لكونهِ من نسل انطونيوس المغلوب فيها. وعاقب ايضًا الذين حزنوا على موت اختهِ قائلاً كان يجب ان يعرفوها الاهة ولا يبكوا عليها وعاقب الذين لم يحزنوا اذ لم يحزنوا على اخت الملك ووضع جزية ثقيلة على اقسام المملكة جميعها وكان ظالمًا بخيلاً متكبرًا حتى انهُ دعا ذاتهُ يومًا جوبتير واخر بخوس واخر عطارد وفي السنة الرابعة من ملكهِ والتاسعة والعشرين من عمرهِ قتلهُ رجلٌ من قواد العساكر الشحنية

وخلفهُ كلوديوس سنة ٤٣ ب م وكان جبانًا سخيف العقل ضعيف الراي والعمل فجلس على كرسي الملك لما كان عمرهُ خمسين سنة فدُعي قيصر لكونهِ من نسل اوقتاويا اخت اوغسطس. فاخذ يصلح احوال المملكة ويعاكس ترتيب كليغولا ظانًا انهُ يرضي الشعب بمخالفة من كان مكروهًا لديهم. وكان لهُ خمس نساء منهن واحدة شريرة فاجرة ضُرِب بها المثل اسمها مسالينا فقتلها وتزوج باغريبينه ابنة جرمانيكوس وكانت كالاولى في الشر والسماجة وكان لها ابنٌ من زوجها الاول اسمهُ نيرون فاخذت تحتال لكي يكون ابنها خليفة للملك فتبناهُ

كلوديوس وزوجهُ بابنتهِ اوقتاويا وانكر ابنهُ بريطانيكوس فلقّب ابن اغريبينا نيرون كلوديوس قيصر ولما رأت ان الطريق لارتقاء ابنها قد تسهلت قتلت زوجها كلوديوس بسم في السنة الرابعة عشرة من ملكهِ والثالثة والستين من عمرهِ

وخلفهُ نيرون سنة ٥٤ ب م وكان شريرًا متوحشًا الى درجة لم يبلغ اليها احدٌ من اسلافهِ فسلم ذاتهُ للسكر والفواحش والحمق فقتل الفيلسوف سنيكا وامهُ اغريبينه وبريطانيكوس بن كلوديوس ثم تنازل من شرفهِ وجاهد في الملاعيب كواحد من ادنى الناس واشعل مرةً مدينة رومية ليلاً ونظر الى الحريق من قصرٍ عالٍ لكي يرى شيئًا شبيهًا بحريق مدينة طرواده . ولما راى غيظ الشعب من ذلك القى تهمة بهذا العمل الردي على المسيحيين وحرق كثيرين منهم بالنار ورمى كثيرين منهم للوحوش الضارية وانشا اضطهادًا عموميًا عليهم في كل المملكة وفي احد هذه الاضطهادات قتل الرسولان بطرس وبولس حسب راي الاكثرين

ثم قام رجل شهير اسمهُ واندكس وحرض الشعب على تخليص ذواتهم من هذا الظالم فاتحد معهُ غلبا والي اسبانيا وقويت الفتنة في رومية ذاتها حتى وصلت الى حراس شخص الملك فتركوهُ واما هو فاختفا في بيت عبدٍ كان قد عتقهُ سابقًا ولما راى السناتوس ما كان حكموا على نيرون بالموت ولئلا يقع

في ايدي الشعب تضرع الى احد رفقائهِ ان يقتلهُ فوافقهُ على مرادهِ وكان ذلك في السنة الرابعة عشرة من ملكهِ والثلاثين من عمرهِ سنة ٦٨ ب م

وبعد وفاة نيرون اقام اللجائين والسناتوس مكانهُ غلبا المذكور وعمرهُ ٧٢ سنة فاظهر القساوة والبخل وانكر على العساكر العطايا التي كان قد وعدهم بها ولم يملك الأسبعة اشهر فقط حتى قتلوهُ وخلفهُ فيتلوس وجعل نيرون قدوة لهُ واخذ يسير في خطواتهِ . ولكن لم تسمح العناية الالهية ان يبقى زمانًا طويلاً فان نيرون كان قد اقام على اللجائين في سورية وفلسطين ومصر قائدًا اسمهُ وسباسيانوس فلما راى هولاء ان اللجائين في الغرب ولّوا وعزلوا حسب ارادتهم اخذتهم الغيرة فنادوا باسم قائدهم وسباسيانوس ملكًا على المملكة الرومانية فارسل امراءهُ الى ايطاليا واخذوا مدينة رومية بالتسليم وقُتِل فيتلوس في الشهر الثامن من ملكهِ وملك وسباسيانوس عوضًا عنهُ سنة ٧٠ ب م وكان مقبولاً عند الجميع ولما وصل الى رومية اظهر الشعب والسناتوس غاية الفرح. واذ كان من اصل غير شريف ارتقى الى درجة سامية بحذاقتهِ وتقلبت احوالهُ حتى صار ملكًا بعد ان كان خادمًا في عصر كليغولا وكلوديوس

ولما استقر الملك في يدهِ عفا عن جميع الذين حاربوهُ واذن لكل شخص ان يتقدم اليهِ ويشكو ضيمهُ. واعتبر السناتوس

كثيرًا وعرّفهم بجميع امور المملكة وعرض عليهم مقاصدهُ كافةً. وفي ملكهِ انتهت الحروب بين الرومانيين وشعب اليهود الذين كان قد اخضعهم بمبيوس واذ كانوا لم يزالوا يهيجون الفتن والحرب ارسل نيرون وسباسيانوس لكي يخضعهم وكان قد اخضع بلادهم جميعها ما عدا اورشليم حين دُعي الى الملك فترك تيطس ابنهُ ليتمم ما ابتدا بهِ فاستفتحها سنة ٧٠ ب م وخربها وقلب أُسُس الهيكل وبدد اليهود وفرقهم وعاد الى رومية فتمت نبوات الانبياء والرب يسوع المسيح بالتدقيق. ومات وسباسيانوس بعد ان ملك تسع سنين واحد عشر شهرًا وخلفهُ ابنهُ تيطس سنة ٧٩ ب م وكان حليمًا اديبًا معتنيًا بامور المملكة وخير الجمهور فلُقِّب لذة البشر. قيل انهُ في مساء يوم اذ ذكر انهُ لم يعمل فيهِ شيئًا من اعمال الرحمة التفت الى من حولهُ قائلاً يا اصحابي قد ضيعت يومًا. وكان تصرفهُ بالرزانة والادب مجتنبًا الكلام الباطل والمزاح الخالي من الحكمة. واذ هاج بركان بزوف وخرب ثلاث مدن انفق على المصابين من خزائنهِ بكل سخاء فجذب بذلك الى ذاتهِ محبة الجميع وصار حزن عظيم عند وفاتهِ في السنة الاربعين من عمرهِ والثالثة من ملكهِ ويُظَنّ ان مويهُ كان بسم سقاهُ اياهُ اخوهُ دومتيانوس الذي خلفهُ في الملك

الفصل الخامس والاربعون

تاريخ الرومانيين تحت تسلط دوميتيانوس الى ادريانوس

ان دوميتيانوس كان عكس تيطس في جميع خصالهِ وصفاتهِ فاكثر الجواسيس وقتل اوجه الرومانيين على ادنى سبب والزم الناس بتقديم العبادة لهُ داعيًا ذاتهُ الهًا ونفى من رومية اكثر المعلمين والفلاسفة وانشأ اضطهادًا شديدًا على المسيحيين ولما انعزل من الناس أُولع بالتقاط الذباب وقتلها بمسلة قيل ان احد خدامهِ سئل يومًا هل عند الملك احد اجاب ولا ذبانة واذ كانت اعمالهُ سيئة كرههُ الشعب فاغروا اميرًا اسمهُ اسطفانوس على قتلهِ فحضر اليهِ وناولهُ كتابًا وبينما هو مشغول بقراءتهِ وثب عليهِ وقتلهُ

ثم ان الذين قتلوهُ اقاموا مكانهُ رجلًا لهُ من العمر سبعون سنة اصلهُ من جزيرة كريت وهو اول ملوكهم الذين ليسوا من اصل روماني . وكان ضعيفًا في رايهِ وعملهِ فلم يستطع ان يخمد الفتن الهائجة في اماكن كثيرة من المملكة ولكي يثبت الملك في يدهِ تبنى القائد تراجانوس الذي كان حينئذٍ مع الجائين في الحرب مع اهل پنونيا . ومات نرفا بعد ان ملك سنة واربعة اشهر وخلفهُ تراجانوس سنة ٩٨ ب م واصلهُ من مدينة سيثيلا في اسبانيا وهو من افضل ملوك رومية خلقًا وادبًا ومن اقواهم حكمة وسطوة

وكان قائدًا شجاعًا ماهرًا في كل متعلقات الحرب وتدبير الجيوش . وكان دابهُ ان يسير مترجلًا امام عساكرهِ ويشاركهم في جميع اثقالهم . ولما ملك اقام قائدًا على العساكر الشحنية واعطاهُ سيفًا قائلًا استعملهُ من اجلي ان ملكتُ كما يجب والا فعلي . ومن حروبهِ التي انتصر فيها حربهُ مع الاشوريين وسكان الاراضي الواقعة بين النهرين والقبائل المجاورة بحر الخزر وشمالي بلاد العرب واهالي داسيا الواقعة شرقي بلاد اوستريا وتذكارًا لنصرتهِ عليهم اقام في رومية عمودًا علوهُ ١٤٢ قدمًا باقٍ الى الآن . وكان محبًا للعلم والعلماء ومن مشاهير عصرهِ افلينيوس الطبيعي وجوفينال الشاعر وافلوترخوس وتاسيتوس المورخان . ومن عيوب ملكهِ سماحهُ باضطهاد المسيحيين اضطهادًا شديدًا . وتوفي في السنة الثالثة والستين من عمرهِ والتاسعة عشرة من ملكهِ

وادعى بالملك بعد وفاتهِ ايليوس ادريانوس وكان وقتئذٍ قائد اللجائين في انطاكية واذ كانت قرابة بينهُ وبين تراجانوس سلم لهُ السنانوس . واذ كان محبًا للصلح ظن ان حدود المملكة كانت اوسع مما اقتضاه صلح فترك البلاد التي استفتحها تراجانوس وسلم تدبيرها الى اهاليها واقام اللجائين من ارمينيا والاراضي بين النهرين جاعلًا نهر الفرات حد المملكة شرقًا ثم اخذ على نفسهِ زيارة جميع اقطار المملكة وبقي على ذلك مدة ثلث عشرة سنة وحيثما توجه دفع المظالم واجرى الاحكام بالعدل وعمر مدنًا

جديدة وزين القديمة ورمم الخَرِبة ومنها مدينة اورشليم وسماها ايليا كاتولينا واقام فيها هياكل لالهة الرومانيين وعلى الخصوص هيكلاً لجوبتير مانعًا اليهود عن الدخول اليها ووضع على احد ابوابها صورة خنزير لكي يجسها في اعينهم واجتهد بان يمحو اثار اليهود والديانة المسيحية فاجتمع اليهود جمهورًا غفيرًا وقتلوا كثيرين من الرومانيين والمسيحيين الناطنين في اليهودية فارسل ادريانوس جيوشًا وقلب مقدار الف مدينة من مدنهم الباقية وقتل ست مئة الف من رجالهم . ثم في السنة الثانية والعشرين من ملكهِ تبنى رجلاً صالحًا اديبًا اسمهُ تيطس اوريليوس انطونينوس وعيّنهُ خليفتهُ في الملك وفي السنة ذاتها وقع في مرضٍ مميتٍ واذ ايقن بقرب وفاتهِ خاطب نفسهُ بهذه الكلمات الدالّة على اعتقادهِ بابدية النفس وجهالتهِ بجالها بعد فراق الجسد . قال يا نفسي يا لطيفة يا جوّالة شريكة هذا الجسد وضيفهُ الى اين تريدين المضي الآن ضعيفة مجرّدة والا فليلاً متلاشية لما لاعتازحين كدأبكِ القديم . ثم مات في السنة الثانية والعشرين من ملكهِ والثانية والستين من عمرهِ سنة ١٣٨ ب م وخليفتهُ تيطس انطونينوس المذكور سابقًا

الفصل السادس والاربعون

في تاريخ الرومانيين تحت تسلط تيطس انطونينوس الى برتيناكس

انهُ في زمان ملك تيطس انطونينوس لم يحدث في المملكة

امورٌ تستحق الذكر وذلك لحسن تدبير الحكم وللصلح العمومي والراحة الحاصلة من ذلك وكان الملك يقول ان بقاء واحد من رعيته احبُّ اليهِ من موت الف من اعدائهِ فكان محبوبًا عند الشعب ومكرمًا عند الغرباء . وتوفي في السنة الرابعة والسبعين من عمرهِ بعد ان ملك ثلثًا وعشرين سنة

وخلفهُ صهرهُ مرقس اوريليوس انطونينوس الملقب بالفيلسوف لتولُّعهِ بالفلسفة الرواقية والَّف كتابًا في هذه التعاليم سماهُ تاملات وهو باقٍ الى الآن وكان لهُ اخ شريرا اسمهُ لوسيوس فيروس فاشركهُ في الحكم . ولما عصتهُ القبائل المجاورة بحر الخزر ارسل فاخضعهم . ثم عصاهُ قبائل جرمانيا ونزلوا على المورة وافسدوها فتقدم مرقس واخوهُ لوسيوس حسب راي السناتوس لاماتة هذه الفتنة فمات لوسيوس قبل دخولهِ ساحة الحرب وبقي مع اللجائين ثمان سنين في نواحي نهر دونو في اوستريا ولشدة البرد والصعوبات التي اضطرَّ ان يقاسيها في معارك الحروب مرض ومات في السنة التاسعة والخمسين من عمرهِ والتاسعة عشرة من ملكهِ وهو آخر الملوك الذين سماهم الرومانيون الملوك الخمسة الصالحين . وكانت المملكة الرومانية من وفاة دوميتيانوس الى وفاة مرقس انطونينوس ناجحة زاهية اذا قابلناها بسرور غيرهم ممن تقدم او خلف . غير ان ما شان ملك الانطونيين هو الاضطهادات التي سعى بها على المسيحيين وفي ملك اولها

الف يوستينيوس الشهيد كتابة المسمى حجة الديانة المسيحية وقدمهُ للملك نفسهِ

وخلف مرقس ابنهُ كومودس سنة ١٨٠ ب م وكان شريرًا فقتل في السنة الثالثة عشرة من ملكهِ والثانية والثلاثين من عمرهِ وكانت اكثر رغبتهِ في المجاهدة بالملاعيب كواحد من العامة واقتدي بنيرون . وكان قتلهُ من جراء فتنة هيجها ليتوس قائد العساكر الشحنية ثم اعطى الملك لرجل شريف النسب كان متسلم رومية وقتئذٍ اسمهُ بوبليوس هلفيديوس برتيناكس فاخذ على ذاتهِ ان يصلح احوال المملكة واجرى الاحكام بالعدل والرحمة واللطافة ولما اراد ان يحصر قوة العساكر الشحنية في القواعد العسكرية القديمة اجتمع نحو ثلث مئة منهم الى دارهِ وقتلوهُ بعد ان ملك ستة وثمانين يومًا

الفصل السابع والاربعون

في تاريخ الرومانيين تحت تسلط ديدبوس الى ديسيوس

انهُ بعد موت برتيناكس باع العساكر الشحنية الملك لرجل اسمهُ ديديوس يوليانوس . فنادى الجائين الذين كانوا في سوريه بقائدهم برسينوس نيجر ملكًا والذين كانوا في بريطانيا نادوا بقائدهم اكلوديوس البينوس ملكًا والذين كانوا في ايليريا نادوا بقائدهم سبتيموس سيفيريوس ملكًا فتقدم سيفيريوس الى رومية بغاية السرعة ولما علم العساكر الشحنية بقدومهِ تركوا

يوليانوس وما لوا اليهِ وتبعهم السناتوس فحكموا بقتل يوليانوس وكان ذلك بعد ان ملك سنة وستين يومًا . ثم امر سيڤيريوس العساكر الشحنية ان يجتمعوا بدون اسلحتهم في سهلة خارج المدينة فاحاط بهم بغتة باللجائين الذين كانوا تحت امرهِ في ابليريا فوبخهم على قتلهم برتيناكس وبيعهم الملك ثم طردهم جميعًا وشتتهم ولم ياذن لاحد منهم ان يتقدم الى رومية باقرب من مئة ميل ثم انتخب اجنادًا شحنية جديدة من بلاد مختلفة واذ راى عدم استطاعتهِ على مقاومة البينوس ونيجر معًا صاحب الاول وارضاهُ ثم تقدم الى الشرق وحارب الآخر فانتصر عليهِ وقتل نيجر في الحرب . ولم يبالِ بعد ذلك برضا البينوس فتقدم لمحاربتهِ وجرت الوقعة بينهما بقرب مدينة ليون في غالة فانتصر سيڤيريوس وقتل البينوس . ثم اخذ بعد ذلك يضعف السناتوس ويرضي عساكرهُ وحكم حكمًا مطلقًا حسب ارادتهِ وانما كان ذلك على نوعٍ من العدل واظهر حكمةً وفطنةً ليست بقليلة في تدابير المملكة ورتب العساكر وحفظهم تحت القوانين المناسبة وسافر الى بريطانيا وعمر حائطًا بين انكلترا وسكوتسيا من بحر الى بحر لكي يمنع مهاجمة القبائل ومات في مدينة يورك في انكلترا في السنة الثامنة عشرة من ملكهِ سنة ٢١١ ب م

وخلفهُ ابنهُ كركلّا وكان دمويًا شريرًا قتل اخاهُ وجرح امهُ وفتك باكابر الناس وقتل منهم نحو عشرين الف نفس ثم

اضطرب واخذهُ القلق والوسواس من جرى ذلك ولازمهُ الوهم والخوف فكان يرى كثيرًا احلامًا مزعجة ويلهي ذاتهُ عنها بالولائم والالعاب المختلفة ولما راى جندهُ حالتهُ المهانة وانحطاط ناموس دولتهم بوجودهِ قتلوهُ وهو يومئذٍ في سورية بدسيسة مكرينوس الذي خلفهُ وقُتِل مكرينوس بعد ان ملك اربعة عشر شهرًا

وخلفهُ هليوغابولوس ولهُ من العمر ١٤ سنة وكان بديع الحسن والجمال فلُقّب بسيانوس اي الشمس لحسنهِ وتزيي في اكثر الاوقات بزي النساء فلبس قلادة من ذهب في عنقهِ واساور من الذهب في يدهِ وكان ينشر في قصرهِ انواع الزهور والرياحين وتحت رجليهِ الفضة والذهب فاستقبح الناس افعالهُ فقاموا عليهِ وقتلوهُ في السنة الرابعة من ملكهِ

وخلفهُ ابن عمهِ اسكندر سيفيريوس سنة ٢٢٢ ب م وكان شابًا متأدّبًا اعتنت بهِ امهُ من صغرهِ وحكم بالعدل والانصاف ولم يكن يقبل في ديوانهِ احدًا من ارباب الملاهي والآلات من المغنين كباقي اسلافهِ وبعد ان ملك نحو اربع عشرة سنة قتل في السنة التاسعة والعشرين من عمرهِ في فتنة هيجها مكسيمين قائد احد اللجائين وهو رجلٌ من ثراقيا ادخلهُ سيفيريوس بين الفرسان لشدة باسهِ ونشاط جسمهِ فملك مكسيمين ثلث سنين ثم قتل سنة ٢٣٨ ب م

وخلف مكسيمين ملكان عينهما السناتوس وهما مكسيمس وبلبيتوس فقتلهما العساكر الشحنية بعد ان ملكا اقل من سنة وملكوا شابًا شريفًا اسمهُ كريدان وعمرهُ وقتئذٍ ثلاث عشرة سنة فقُتِل في السنة الثامنة عشرة من عمرهِ سنة ٢٤٤ ب م وملك مكانهُ قائدٌ من قواد العساكر اسمهُ فيلبس قيل كان عربي الاصل وملك خمس سنين ثم قُتل في وقعةٍ صارت بينهُ وبين ديسيوس احد قواد العساكر وملك عوضًا عنهُ ديسيوس المذكور سنة ٢٤٩ ب م فقتل سنة ٢٥١ ب م في حرب مع الغوث وهم قوم متوحشون متبربرون اصلهم من اسوج ونروج فرحلوا الى الجنوب وكانوا بومئذٍ حالين في بروسيا واوستريا ونزلوا على املاك الرومانيين في تلك النواحي وصارت الوقعة المذكورة في ميسيا وهي القسم الشمالي مما يسمى الآن برّ الترك في اوروبا ومن ثم نزلوا على اليريا والاقاليم المجاورة وافسدوها

الفصل الثامن والاربعون

تاريخ الرومانيين من تسلط غالوس الى اوريليانوس

انهُ بعد موت ديسيوس ملك السناتوس غالوس احد شهراه دولة ديسيوس فاخذ يرضي الغوث ووعد بان يدفع لهم مبلغًا وافرًا كل سنة فيتحوّلوا عن تخوم الرومانيين فاخذوا المبلغ لكنهم لم ينجزوا بوعدهم وما زالوا ينزلون على پنونيا وايليريا فعزم ايميليانوس والي تلك البلاد على ان يطردهم فانتصر عليهم ثم

عصى غالوس ومال اليهِ الشعب والعساكر فقُتِل غالوس وملك عوضًا عنهُ ايميليانوس سنة ٢٥٣ ب م فملك اربعة اشهر ثم قتلهُ العساكر وخلفهُ ڤليريانوس قائد لجائين غاله وجرمانيا

وكان عمر ڤليريانوس حين ملك ستين سنة وكان من اصل شريف مكرمًا محبوبًا عند الجميع ولما راى هموم المملكة ثقيلة عليهِ لسبب كبر سنهِ اشرك معهُ في الحكم ابنهُ غليينوس الذي لم يكن مستحقًّا هذه الوظيفة السامية . وفي عصرهما كانت المملكة في حروب ومقاتلات ومصائب لكثرة الاعداء المحيطة بها . منهم قبائل الفرانك الذين سكنوا في الشمال الغربي من جرمانيا وهجموا على غاله وطردهم قائد من قواد الرومانيين اسمهُ بسثوموس ومنهم السويڤا الساكنون على شطوط نهر البا في سكسونيا وسُمُّوا ايضًا اليماني فهجموا على ايطاليا في غيبة ڤليريانوس في الشرق وغليينوس في غاله فلاقاهم العساكر الشحنية والشعب وطردوهم فعادوا الى جرمانيا ومنهم الغوث المار ذكرهم الذين هجموا على الموره واسيا الصغرى وحرقوا هيكل ديانا في افسس ثم عادوا الى نواحي نهر دونو ومنهم سابور ملك الفرس الذي تقدم الى نهر الفرات وطرد الرومانيين من بعض املاكهم في تلك النواحي ثم ترك ڤليريانوس الحرب مع قبائل جرمانيا بيد القواد وتقدم الى محاربة سابور فأُخِذ اسيرًا ومات في العبودية . ثم ملك غليينوس وحدهُ . واما سابور فتقدم الى سوريه واستفتح مدينة

انطاكية ونهبها وحرقها واخضع كيليكية وكبدوكية. وفي هذا الوقت قام اوديناتوس احد اكابر مدينة تدمر وجمع جيشاً وانتصر على سابور وطردهُ الى بلادهِ ثم ملك اوديناتوس على اكثر الشرق ولما مات خلفتهُ امرأتهُ زينوبيا وكانت متادبة متعلمة حسنة الراي والعمل وجميلة الخلقة. وصارت مملكة تدمر تحت حكمها قوية واشتهرت جداً الى عصر الملك اوريليانوس كما سياتي

ثم قُتِل غاليينوس سنة ٢٦٨ ب م وخلفهُ كلوديوس الثاني احد القواد العسكرية فانتصر على القوط ثم مات من وبا في نواحي نهر دونو في پنونيا سنة ٢٧٠ ب م وعين خليفةً لهُ اوريليانوس اشهر قوادهِ الذي ملك اربع سنين وتسعة اشهر وفي تلك المدة انهى الحرب مع القوط وطرد قبائل جرمانيا من ايطاليا وخلص غاله وبريطانيا واسبانيا من يد تتريكوس الذي كان قد ادعى بالملك عليها واخذ زينوبيا ملكة تدمر اسيرة الى رومية وبقيت هناك الى يوم وفاتها واذ كان في الطريق قام عليهِ بعض قوادهِ وقتلوهُ سنة ٢٧٥ ب م

الفصل التاسع والاربعون

في تاريخ الرومانيين تحت تسلط تاسيتوس الى غلاربوس

وبعد موت اوريليانوس الزم السناتوس تاسيتوس احد اعضائهم ان يملك عليهم وكان قد اتى عليهِ يومئذٍ خمس وسبعون سنة فحكم بالعدل ستة اشهر ثم مات في كبدوكية سنة ٢٧٦ ب م

وخلفهُ پروبوس احد قواد العساكر وكان شجاعًا حكيمًا وانتصر على قبائل الفرانك في غاله واخذ جزيةً من قبائل جرمانيا وادخل ستة عشر الفًا من شبانهم بين عساكر الرومانيين ثم قُتِل في فتنةٍ هاجت بين عساكرهِ سنة ٢٨٢ ب م وخلفهُ كاروس قائد العساكر الشحنية فتقدم الى الشرق وانتصر على الفرس ومات هناك سنة ٢٨٣ ب م وخلفهُ ابناهُ كاريتوس وتوميريان الاول في ايطاليا والآخر في الشرق فتقدم تومريان من الشرق مع العساكر الذين كانوا مع ابيهِ في محاربة الفرس ومات في الطريق فاقام عساكرهُ ملكًا عليهم احد القواد اسمهُ ديوكليتيانوس سنة ٢٨٤ ب م فنرى المملكة الرومانية في مدة تسع سنين ملك عليها ستة ملوك وكانوا جميعهم في تعب وعناية الروح ومشقات كثيرة

ثم تقدم كاريتوس الى محاربة ديوكليتيانوس وصارت الوقعة بينهما في ميسيا يقرب نهر دونو وكاد كاريتوس ينتصر على خصمهِ لو لم يقتلهُ قائد من قوادهِ لمرامٍ قديم كان لهُ عليهِ وكان ذلك سنة ٢٨٥ ب م

ثم ملك ديوكليتيانوس واظهر ذاتهُ مستاهلاً للملك وكان عاقلاً حاذقًا واخذ يغير تراتيب المملكة والاحكام فقسمها الى اربعة اقسام وولى على كل قسمٍ واليًا وساوى جميع الولاة قوةً وسلطانًا واشرك في الحكم احد القواد اسمهُ مكسميانوس ولقبهُ

اوغسطس ثم اشرك ايضًا في الحكم قائدين اسم الواحد غليريوس واسم الآخر قنسطنطيوس ولقبهما القيصرين فحكم غليريوس على ايليريا والبلاد المجاورة لنهر دونو وقنسطنطيوس على اسبانيا وغاله وبريطانيا ومكسيميانوس على ايطاليا وافريقيه وابقى لنفسهِ ثراقيا ومصر واقاليم اسيا وكان كل مستقلاً في القسم المختص بهِ غير ان الجميع خافوا ديوكليتيانوس واعتبروا رضاهُ وسخطهُ وهكذا كان بالحقيقة راسًا مع انهُ بالاسم قسم السلطنة بينهم وفي ملك هولاء حدث على المسيحيين اضطهاد شديد سنين عديدة سُمّي الاضطهاد العاشر وكان اشد مما قبلهُ اضعافًا وكاد المسيحيون يتلاشون بهِ وافتخر الملك بانهُ قد اباد الديانة المسيحية ورجع عبادة الالهة وصكّ عملةً تذكارًا لذلك. وبعض قطع منها باقية الى الآن

وفي السنة الحادية والعشرين من ملك ديوكليتيانوس استعفى من الحكم وتبعهُ في ذلك مكسيميانوس كرهًا عنهُ فوضعا عنهما الكرامة الملكية وتنازلا الى رتبة العوام وتركا المملكة بيد القيصرين ومضى ديوكليتيانوس الى وطنهِ في دلماطيا وبنى قصرًا فاخرًا وسكن هناك عدة سنين وكان يتسلى بالعمل في بستانهِ وشهد على ذاتهِ انهُ وجد هناك من اللذة والسعادة ما لم يعرفهُ لما كان لابسًا الارجوان الملكي وربما كان ذلك عائدًا الى القناعة

ولما قام احد الربانيين اسمهُ كراوسيوس واختلس بريطانيا

وادّعى بالملك عليها تقدم قنسطنطيوس الى هناك فقُتِل كراوسيوس بيد وزيرهِ الكتوس ثم خضعت البلاد لقنسطنطيوس وتوفي بعد ذلك ببرهة يسيرة في بريطانيا ونودي باسم ابنهِ قنسطنطين ملكًا في مدينة يورك سنة ٣٠٦ ب م ولم يقبل بذلك غلبريوس بل انما اشرك في الحكم صاحبًا لهُ اسمهُ سيڤيروس ثم عاد مكسميانوس الذي كان قد استعفى كما مر وادعى بالملك ومع ابنهِ مكسنتيوس حارب سيڤيروس وقتلهُ واعطى ابنتهُ لقنسطنطين امراة وبعد برهة يسيرة توفي مكسميانوس وغلبريوس وبقي الملك بيد مكسنتيوس وقنسطنطين

الفصل الخمسون

في تاريخ الرومانيين من تسلط قنسطنطين الى يوليانوس

انهُ لم يمضِ كثيرٌ من الزمان حتى وقعت حربٌ بين قنسطنطين ومكسنتيوس وقيل انهُ لما كان قنسطنطين متقدمًا لمحاربة خصيمهِ راى رؤيا في السماء وهي صليبٌ منيرٌ مكتوبٌ عليهِ باللغة اليونانية هاتان الكلمتان (بهذا تنتصر) وبقرب هذا الوقت تتلمذ للديانة المسيحية وكان خصيمهُ غيورًا في عبادة الالهة وصارت الوقعة بينهما بقرب رومية فقتل مكسنتيوس وانتصر قنسطنطين وبقي وحدهُ ملكًا على المملكة الرومانية سنة ٣١٢ ب م. وسنة ٣١٢ توفي دبوكليتيانوس في بيتهِ في سالونا من اعظم مدن دلماطيا . وكان غلبريوس قد عيّن خليفةً لهُ رجلًا اسمهُ

ليسينوس وبقي هذا الرجل مدعيًا بالسلطنة على اقاليم اسيا ولما انشأ اضطهادًا على المسيحيين جعل قنسطنطين ذلك سببًا لمحاربتهِ فتقدم الى اسيا وانتصر عليهِ ثم القاهُ في سجنٍ واخيرًا امر بقتلهِ وعاد الملك الى شخصٍ واحدٍ وكان ذلك سنة ٣٢٤ ولما راى الملك قد استقر بيدهِ امر باغلاق الهياكل وتبطيل الذبائح الاَّ انهُ نادى في الشرق بالحرية المطلقة للاديان كافةً

ولما راى موقع مدينة بيزانطيوم حسنًا جدًا ومناسبًا لقصبة مملكة اخذ في تزيينها وتوسيعها وسمَّاها القسطنطينية وكان ذلك بين سنة ٣٢٤ و٣٢٤ ب م ثم نقل كرسي الحكم من رومية الى المدينة الجديدة وتبعهُ كثيرون من اهل رومية ثم اقتدى بعوائد ملوك الشرق فلبس تاجًا وتلقب بالقاب مفخمة واولم ولائم. ولما هجم سابور الثاني ملك فارس على الاراضي بين النهرين مضى الملك للقائهِ وانتصر عليهِ واذ كان راجعًا الى قصبتهِ عند وصولهِ الى مدينة نيكوميديا على الطرف الشرقي من بحر مرمرا مرض ومات في السنة الثالثة والستين من عمرهِ والثلاثين من ملكهِ وقد اختلف المؤرخون في اوصافهِ اذ نسب لهُ بعضهم جميع الاوصاف الحميدة وآخرون اعابوا ذكرهُ بجميع الخصال الردية

ثم انقسمت المملكة بين اولادهِ الثلاثة وهم قنسطنطين الثاني وقنسطانس وقنسطنطيوس فوقع حربٌ بين قنسطنطين وقنسطانس وقتل الاول وبقي الاخر ملكًا على الغرب وبعد برهة

قليلة قتلهُ رجلٌ من جرمانيا اسمهُ مغنتيوس وبقي الملك بيد قنسطنطيوس ثم حارب قاتل اخيهِ وانتصر عليهِ فهرب الى غاله وهناك قتل نفسهُ. ثم ان قنسطنطيوس عوض ان يناظر امور السياسة ويرتب ترانيب المملكة اخذ يصلح المجادلات الدينية التي تكاثرت حينئذٍ بين روسا الكنائس الذين كان كثيرون منهم مائلين الى تعاليم فلسفة اليونانيين واراد وان يستعملوا قواعدها في العقائد المسيحية وبنوا اشياء كثيرة من قواعد ايمانهم على الفلسفة عوض الكتب الالهية. واذ كان الملك ملتهيًا بامورٍ لم تعنهِ هجم على المملكة في الغرب الغوث والفرانك وغيرهم من قبائل جرمانيا. والفرس ايضًا في الشرق. ثم اقام الملك يوليانوس ابن عمهِ واليًا على غاله فانتصر على قبائل جرمانيا وخلص اطراف المملكة من مهاجماتهم فخافهُ الملك وامرهُ ان يرسل جانبًا من عساكرهِ الى محاربة الفرس وعند ذلك نادت العساكر باسم يوليانوس ملكًا فتقدم الى ايطاليا التي سلمت لهُ ثم الى بلاد اليونان وفي هذا الوقت مات قنسطنطيوس في كيليكية سنة ٣٦١ ب م وبقي الملك بيد يوليانوس. واذ كان قد درس الفلسفة اليونانية كثيرًا مال اليها اكثر من الديانة المسيحية وزاد زهدهُ ما رآهُ من شرور روساء المسيحيين ومخاصماتهم وعدم محبتهم بعضهم لبعضٍ وكثرة مجامعهم على ما لا طائل تحتهُ. فترك الديانة المسيحية ورجع عبادة الالهة ولذلك لُقّب بالمرتد او الكافر وألف كتابًا

ضد الديانة المسيحية باقٍ بعض قطعٍ منهُ الى الآن. واخذ يجمع اليهود الى اورشليم وابتدا بعمارهيكلهم لكي يبين بذلك فساد الكتب المقدسة. قال اميانوس احد مؤرخي الامم الذي عاش في تلك الايام انهم اذ كانوا يحفرون الاساس خرجت نارٌ من الارض وحرقت الفعلة وسمعوا رعودًا ورأوا شرارات نارية تخرج من الصخور فكفوا عن العمل

ولما ذكر يوليانوس ما اصاب المملكة من قبل الفرس اخذ على نفسهِ ان ينتقم منهم فتقدم الى نهر الدجلة وقُتِل هناك في وقعةٍ معهم في السنة الحادية والثلاثين من عمرهِ والثانية من ملكهِ سنة ٣٦٣ ب م

الفصل الحادي والخمسون

تاريخ الرومانيين من تسلط يوفيانوس الى ثيودوسيوس

انهُ بعد وفاة يوليانوس انتخب اللجائين عليهم رجلًا مسيحيًا من قوادهم اسمهُ يوفيانوس فانهى الحرب مع الفرس بتسليم بعض اماكن بين النهرين لايديهم ثم عاد الى انطاكية واخرج امرًا باطلاق الحُرية في الامور الدينية وجعل الوثنيين والمسيحيين على حدٍ سوى. ثم تقدم نحو القسطنطينية وعند وصولهِ الى داداستانه وهي مدينة صغيرة على الحد بين غلاطيا وبيثينيه وُجِد في الصباح ميتًا في فراشهِ بعد ان ملك سبعة اشهر سنة ٣٦٤ ب م

ثم انتخب العساكر ملكًا رجلًا من القواد اسمهُ ولنتينيانوس

ضد الديانة المسيحية باقٍ بعض قطعٍ منهُ الى الآن. واخذ يجمع اليهود الى اورشليم وابتدا بعمارهيكلهم لكي يبين بذلك فساد الكتب المقدسة. قال اميانوس احد مؤرخي الامم الذي عاش في تلك الايام انهم اذ كانوا يحفرون الاساس خرجت نارٌ من الارض وحرقت الفعلة وسمعوا رعودًا ورأوا شرارات نارية تخرج من الصخور فكفوا عن العمل

ولما ذكر يوليانوس ما اصاب المملكة من قبل الفرس اخذ على نفسهِ ان ينتقم منهم فتقدم الى نهر الدجلة وقُتِل هناك في وقعةٍ معهم في السنة الحادية والثلاثين من عمرهِ والثانية من ملكهِ سنة ٣٦٣ ب م

الفصل الحادي والخمسون

تاريخ الرومانيين من تسلط يوفيانوس الى ثيودوسيوس

انهُ بعد وفاة يوليانوس انتخب اللجائين عليهم رجلًا مسيحيًا من قوادهم اسمهُ يوفيانوس فانهى الحرب مع الفرس بتسليم بعض اماكن بين النهرين لايديهم ثم عاد الى انطاكية واخرج امرًا باطلاق الحُرية في الامور الدينية وجعل الوثنيين والمسيحيين على حدٍ سوى. ثم تقدم نحو القسطنطينية وعند وصولهِ الى داداستانه وهي مدينة صغيرة على الحد بين غلاطيا وبيثينيه وُجِد في الصباح ميتًا في فراشهِ بعد ان ملك سبعة اشهر سنة ٣٦٤ ب م

ثم انتخب العساكر ملكًا رجلًا من القواد اسمهُ ولنتينيانوس

فاشرك في الحكم اخاهُ ڤالانس واعطاهُ الجزء الشرقي من المملكة واخذ لنفسهِ الجزء الغربي وتقدم الى غاله وحارب القبائل البربرية وانتصر عليها. واما في الشرق فبقيت الحروب مضطرمة بين ڤالنس والغوث الذين حلوا في داسيا وانقسموا حينئذٍ الى استروغوث اي الغوث الشرقية وهم الذين سكنوا على الشطوط الغربية من البحر الاسود والى وسيغوث اي الغوث الغربية الذين سكنوا على جانبي نهر دونو

وسنة ٣٧٥ ب م توفي ولنتينيانوس في جرمانيا وخلفهُ ابنهُ غراطيان وكان عمرهُ يومئذٍ ست عشرة سنة. وسنة ٣٧٦ هجم على المملكة الشرقية قبائل متوحشة من سيبيريا او من بلاد التترسُموا الهون وكانوا قبل ذلك قد هجموا مرارًا عديدة على بلاد الصين فبنى الصينيون السور المشهور شمالي بلادهم لكي يمنعوا نزول هولاء البرابرة عليها فانوا اولاً على الغوث الغربية وطردوهم فطلبوا من الرومانيين ان يعطوهم ملجأً في بلادهم فاجابهم ڤالنس واسكنهم في ثراقيا. ثم اتى الغوث الشرقيون ايضًا وطلبوا ملجأً فخاف ڤالنس من عاقبة دخول قوم كبير كهذا الى بلادهِ. فلم يجب طلبهم فتقدموا كرهًا عنهُ وسكنوا ايضًا في ثراقيا فاستغاث ڤالنس بسابور ملك الفرس على الغوث وصارت وقعة بينهم بقرب مدينة ادريانوبولس فانتصر الغوث وقُتِل ڤالنس. واذ لم يبقَ من يقاوم هولاء الغرباء تقدموا الى بنونيا واخائية ولم يسلم

منهم الاّ بعض المدن لان القوط لم يعلموا كيفية محاصرة الحصون

وسنة ٣٧٩ ب م اتى غراطيان الى القسطنطينية واشرك في الحكم رجلاً شهيراً وقائداً شجاعاً اسمهُ ثيودوسيوس فانتصر على القوط وفرّقهم واسكنهم في اماكن شتى في ثراقيا واسيا الصغرى. واما غراطيان فعاد الى الغرب وسكن في غاله وترك الشرق بيد ثيودوسيوس وسنة ٣٨٣ هاجت فتنة في اللجائين الذين في بريطانيا فملكوا قائدهم مكسيموس. ثم تقدم مكسيموس الى غاله فهرب غراطيان الى مدينة ليون وادركهُ هناك قائد فرسان مكسيموس فقتلهُ

ثم عقد ثيودوسيوس الصلح مع مكسيموس تحت شرط بقائهِ في الاقاليم الواقعة غربًا من جبال آلپا وتسليم ايطاليا وايليريا وافريقية الى ولنتينيانوس الثاني اخي غراطيان فنقض مكسيموس العهد وتقدّم الى رومية واخذها فهرب ولنتينيانوس الى تسالونيكي وتقدم ثيودوسيوس الى لقاء مكسيموس فصارت الوقعة بينهما في پنونيا وانتصر ثيودوسيوس وقُتِل مكسيموس ثم رجّع المملكة الغربية الى يد ولنتينيانوس الذي قُتِل بعد برهة يسيرة في فتنةٍ هيجها اربوغستيس احد القواد فحاربهُ ثيودوسيوس وانتصر عليهِ واستقرّت المملكة كلها بيدهِ سنة ٣٩٤ ب م

ثم ان ثيودوسيوس غار للديانة المسيحية وجعلها ديانة المملكة ونهى عن عبادة الاوثان وامر بتبطيل تقديم الذبائح للالهة

وباغلاق هياكلهم غيرانهُ اذ كان رجلاً عسكريًّا وكانت معرفتهُ بالامور الدينية قليلة قادهُ اكليروس الزمان وسلم للذين كانوا حولهُ منهم وتوفي في مدينة ميلان سنة ٣٩٥ ب م

الفصل الثاني والخمسون

في انقسام الدولة الرومانية الى سلطنتين وانقراض الغربية منهما

كان لثيودوسيوس المذكور ولدان اسم الواحد اركاديوس والاخر هونوريوس فقسم بينهما المملكة وجعلها امبراطوريتين مستقلتين امبراطورية المشرق وكرسيها القسطنطينية وامبراطورية المغرب وكرسيها رومية فتولى هونوريوس على المغرب واركاديوس على المشرق. وكان لاركاديوس وزير اسمهُ روفينوس ولهونوريوس وزير اسمهُ استليخو وفي عصرهما نزلت قبائل الهون من جبال كوه قاف وافسدوا ارمينية وكبدوكية وكيليكية وسورية وهجم القوث ايضًا تحت ملكهم الاريك على اليريا والمورا واخذوا مدينة اثينا. ثم تقدم الاريك الى ايطاليا فلاقاهُ استليخو وانتصر عليهِ. وبعد وفاة استليخو اتى الاريك ثانيةً واستفتح عدة مدن في ايطاليا ثم حاصر رومية ذاتها فذاق اهلها جميع بلايا الحصار من جوعٍ وخوفٍ ووبأ الى ان استُفتحت فسلمها الاريك للنهب وعزل هونوريوس عن الملك. ثم توفي الاريك وكان للقوث عادةٌ ان يخفوا قبور مشاهيرهم فحفروا ترعةً على جانب نُهَيرٍ واداروا ماءهُ اليها وقبروا ملكهم في وسط النهر ثم اعادوا الماء

الى مجراهُ الاول . وخلفهُ اخوهُ وتقدم القوث الى جنوبي غاله والى اسبانيا واسّسوا مملكة القوث في تلك البلاد . ولما راى اهل بريطانيا ما كان طرحوا عنهم نير الرومانيين واصبحوا مستقلين سنة ٤٠٩ ب م

وسنة ٤٠٨ ب م توفي الملك اركاديوس في الشرق وخلفهُ ابنهُ ثيودوسيوس الثاني وكان عمرهُ حينئذٍ سبع سنين فحكمت باسمهِ اختهُ فلخيريا وبقيت على ذلك اربعين سنة وكانت تلك المدة خالية من الحروب والاضطراب . وكان قومٌ من قبائل جرمانيا تسمّوا الوندال قد عبروا من اسبانيا الى افريقيا وفي ذلك العصر استقلوا هناك تحت ملكهم جنسريك واخذوا املاك الرومانيين في الشمال الغربي من افريقية

وسنة ٤٣٣ توفي هونوريوس ملك الغرب وخلفهُ ابن عمهِ ولنتينيانوس الثالث

اما ثيودوسيوس الثاني فالتزم ان يحارب قبائل الهون الذين كانوا حينئذٍ تحت حكم ملكهم اطيلا فارضاهُ ثيودوسيوس بدفع مبلغ وافر من المال . ثم مات ثيودوسيوس الثاني سنة ٤٥٠ وتزوجت اختهُ فلخيريا برجلٍ شريفٍ اسمهُ مرسيانوس ورقتهُ الى الملك على المملكة الشرقية . اما اطيلا فهجم على غاله فلاقاهُ إيتيوس قائد الرومانيين في تلك النواحي واجتمع الى لوائهِ الوسيغوث وانتصروا على اطيلا ثم تقدّم الى ايطاليا وارضاهُ

ولنتنيانوس بدفع مبلغٍ وافرٍ من المال ومات بعد ذلك ببرهةٍ يسيرة سنة ٤٥٣ وانقسمت املاكهُ المتسعة بين بنيهِ وتلاشت بالحروب بينهم

وسنة ٤٥٥ توفي ولنتنيانوس الثالث ملك الغرب وخلفهُ رجلٌ شريفٌ اسمهُ بترونيوس مكسيموس وبعد ان ملك ثلثة اشهر قُتِل في مهاجمة الوندال على رومية تحت امر ملكهم جنسريك الذي سلمها للنهب مدة احد عشر يومًا فعدمت بذلك كثيرًا من غرائبها ومحاسنها ومكاتبها التي كانت قد بقيت بعد نهبها في زمان الاريك كما تقدم ثم عادوا الى افريقيا وملك على الغرب رجلٌ اسمهُ اقيطوس

اما مرسيانوس ملك الشرق فبعد وفاتهِ ترك الملك بيد ليون وبعد وفاة هذا ملك رجلٌ شريرٌ اسمهُ زينون من سنة ٤٧٤ الى ٤٩١. وانعزل اقيطوس عن الملك في الغرب وخلفهُ رجلٌ اسمهُ ماجوريانوس وكان صالحًا عادلاً واصلح احوال المملكة في امورٍ كثيرة ثم توفي سنة ٤٦١ ب م وخلفهُ سيفيروس وبعد وفاتهِ خلفهُ انثيميوس سنة ٤٦٧ وفي ملكهِ استقل الوسيغوث في غاله واسبانيا ثم قام عليهِ رجلٌ شريفٌ اسمهُ اوليبريوس وهجم على رومية وقُتِل انثيميوس وملك اوليبريوس مكانهُ سنة ٤٧٦ وتوفي في تلك السنة بعد ان ملك سبعة اشهر وخلفهُ نيوس بمساعدة ليون ملك الشرق فارسل قائدهُ اورستيس

لكي يحارب اوريك ملك الوسيغوث فقام هذا على ملكهِ وعزلهُ وملّك عوضًا عنهُ ابنهُ الذي سُمّي اوغسطولوس اي اوغسطس الصغير سنة ٤٧٦. وفي هذه السنة ذاتها قام عليهِ اودواسير ملك قبيلة الهيرولية وهم فرعٌ من الغوث وعزلهُ عن الملك ولقّب ذاتهُ ملك ايطاليا. وهكذا انتهت المملكة الرومانية في الغرب بعد ان بقيت من وقت بناء المدينة ١٢٢٤ سنة

الفصل الثالث والخمسون

في تاريخ المملكة الشرقية من عصر زينون الى انقلابها سنة ٦٢٧

اما زينون ملك الشرق فكان وقتئذٍ في محاربة الاستروغوث الساكنين في ثراقيا وپنونيا كما تقدم فأذن لملكهم ثيودوريك ان يحارب اودواسير وان يملك عوضًا عنهُ اذا انتصر عليهِ فهجم الاستروغوث على ايطاليا وقُتِل اودواسير وبقي الملك بيد ثيودوريك الذي جعل اقامتهُ بمدينة رافنّا وبعد وفاتهِ خلفهُ حفيدهُ اثالاريك سنة ٥٢٦ وكان زينون ملك الشرق قد توفي سنة ٤٩١ وخلفهُ انستاسيوس الذي توفي سنة ٥١٨. قيل عمر اسوار مدينة حماه في اول سنة من ملكهِ. وخلفهُ يوستينوس الاول. وبعد وفاة هذا خلفهُ ابن اخيهِ المسمى يستنيانوس سنة ٥٢٧ الذي ملك ٣٨ سنة و٧ اشهر و١٣ يومًا واصلح احوال المملكة ورتّب شرائع جديدة سُمّيت الشرائع اليوستنيانية وقد بُني عليها اكثر شرائع بلاد اوروبا في ايامنا هذه ولما وقع حربٌ بينهُ وبين الفرس

ارسل القائد بليساريوس الذي انتصر عليهم اولاً ثم انتصروا عليهِ ثم عقد الصلح مع كسرى ملك الفرس بدفع مبلغ وافر من المال . ثم ارسل بليساريوس الى افريقيا فانتصر على الوندال هناك ثم ارسلهُ الى ايطاليا فانتصر على انلاريك ملك الاستروغوث واخضع ايطاليا الى اطاعة ملكهِ ثم قاموا تحت ملكهم طوطيلا واستخلصوا الملك فارسل يوستنيانوس القائد نارسيس٢ الذي انتصر عليهم وقتل طوطيلا في الحرب وتولى نارسيس على ايطاليا ثلاث عشرة سنة

وكان منذ ايام اوغسطس وتراجانوس قومٌ متبربرون ساكنين في جرمانيا بين نهري الباو واودر تسموا اللمبارد وفي عصر يوستنيانوس تقدموا الى الجنوب وافسدوا اماكن كثيرة على شطوط بحر ادريا وما يليها . وافسد السقالبة ايضاً الاقاليم الواقعة بين البحر الاسود وراس خليج ادريا على جانبي نهر دونو وفي عصرهِ ايضاً انحدر الاتراك من بلاد التتر والجبال المجاورة بحر قزوين ووصلوا الى اطراف المملكة الرومانية في جنوبي جبال كوه قاف وكان ملك الفرس يومئذٍ كسرى انوشروان المشهور في تواريخ العرب الجاهلية لما جرى من الحروب بينهُ وبين قبائلهم وهو الذي انتصر على بليساريوس وافسد بر الشام كما تقدم

وفي هذا العصر ايضاً اشتهر الحبش تحت ملكهم نيغوس واستفتحوا بعض اماكن في بر العرب فارسل يوستنيانوس رسلاً

وعقد معهم صلحًا

وسنة ٥٦٥ توفي الملك يوستنيانوس وخلفهُ ابن اختهِ يوستين الثاني فعزل نارسيس من ولاية ايطاليا فتقدم قبيلة اللمبارد المشار اليها سابقًا واستولوا على ايطاليا سنة ٥٦٨ ومن ثمَّ لم يَعُد يتسلط عليها ملك من ملوك الرومانيين وبقيت مملكة اللمبارد في ايطاليا مئتين وست سنين الى سنة ٧٧٤ حين استفتحها كارلوس الكبير ملك فرنسا واضافها الى المملكة الجديدة التي انشاها في الغرب

وفي ملكهِ هجم الفرس على بر الشام واحرقوا مدينة افاميه

وسنة ٥٧٨ توفي يوستين الثاني وخلفهُ احد القواد اسمهُ طيباريوس الثاني وتوفي سنة ٥٨٢ وعين خليفة لهُ احد مشاهير الوقت اسمهُ ماوريس . وكان كسرى انوشروان ملك الفرس قد توفي سنة ٥٧٩ وخلفهُ ابنهُ هرمز الى سنة ٥٩٠ وقام عليهِ احد خدامهِ اسمهُ بهرام وقام اكابر البلاد وعزلوا هرمز وملَّكوا عوضًا عنهُ ابنهُ كسرى ولكنهُ التزم ان يهرب من قدام بهرام المذكور فالتجأ الى الملك ماوريس الذي قبلهُ وارسل معهُ جنودًا وقوَّادًا تحت امر نرسيس فانتصروا على بهرام الذي هرب الى الاتراك الحالين حينئذٍ شرقي بحر قزوين ومات هناك وجلس كسرى على كرسي الملك سنة ٥٩١

وسنة ٦٠٢ هاجت فتنة قوية في العساكر فملكوا احد قوادهم

اسمهُ فوخاس وقتلوا ماوريس وجميع اولادهِ .اما فوخاس فكان ظالمًا شريرًا فمات سنة ٦١٠ وخلفهُ ابن ابنتهِ اسمهُ هيراكليوس وكان فوخاس قد قتل نرسيس وعند ذلك هجم كسرى ملك الفرس على الاراضي بين النهرين واستفتح اكثر مدنها واخذ مدينة حلب وتقدم الى انطاكية وعند ما ملك هيراكليوس أُخبِر بان كسرى قد فتح مدينة انطاكية ايضًا ومن ثم تقدم الى الجنوب واخذ دمشق واورشليم ونهبها وحرق كنيسة القيامة ثم اخذ مصرًا ايضًا سنة ٦١٦ وفي ذات هذه السنة فتح اسيا الصغرى كلها وجزيرة رودس ولم يفصل بينهُ وبين القسطنطينية ذاتها الاَّ البوغاز الفاصل بين اسيا واوروبا . ومن الجهة الاخرى كان هيراكليوس في خوف عظيم من قبائل الافار الذين كانوا قد تقدموا من روسيا وبلاد الجركس وافسدوا الاقاليم المجاورة للقسطنطينية ذاتها. واذ كان هيراكليوس في هذه البلايا ارضى كسرى بدفع مبلغ وافر من المال والوعد بجزية سنوية ثم ابتدا يستعد للحرب وسنة ٦٢٢ صارت وقعة بينهُ وبين الفرس في كبليكية فانتصر عليهم ومن ثم الى سنة ٦٢٦ انتصر عليهم في عدة وقعات وطردهم الى شرقي نهر الدجلة. ثم في سنة ٦٢٦ جمع كسرى جيشهُ ومع قبائل الافار المذكورة سابقًا حاصر القسطنطينية فانتصر عليهم اهلها وطردوهم وكان هيراكليوس وقتئذٍ في اسيا الصغرى حيث انتصر على الفرس ثم تقدم الى ناحية الموصل

وصارت هناك وقعة عظيمة بقرب موقع خراب نينوى وكانت النصرة لهيراكليوس وذلك سنة ٦٢٧ فهرب كسرى ثم قام عليهِ ابنهُ سرويس وقتلهُ وملك عوضًا عنهُ سنة ٦٢٨ ب م ثم انعقد الصلح بين الفئتين وعاد الملك الى قصبتهِ غالبًا منصورًا. ثم اهمل ادارة الاحكام وانهمك في المجادلات الدينية وفي اثناء ذلك افتتح المسلمون في ايام خلافة ابي بكر مدينتي اورشليم ودمشق واستولوا على جانبٍ كبير من سوريه وكانت مدة حكمهِ احدى وثلثين سنة وكان نائبهُ على مصر المقوقس الذي حاربهُ عمرو بن العاص في ايام خلافة عُمر بن الخطاب وافتتح منهُ البلاد

الفصل الرابع والخمسون

في تاريخ العرب قبل الاسلام

قد أُطلق على العرب قبل الاسلام اسم الجاهلية لان اكثرهم عبدوا الاصنام على مذهب الصابيين غير انهُ وُجد بينهم في اماكن متفرقة كثيرون من اليهود والمجوس والنصارى. اما الديانة الصابية فابتدأت بين نسل نوح في ارض الكلدانيين فانهم اذ نظروا الى علو شان الله تعالى وعظمتهِ والى دناءة نفوسهم ودنسها لم يتصور عندهم امكان التقدم اليهِ الا على يد وسيطٍ تصير بشفاعتهِ صلاتهم مقبولة لديهِ تعالى واذ لم يكن قد استُعلِن لهم جليا حسب ارادتهم الوسيط الذي اقامهُ الله بين نفسهِ والبشر جعلوا لنفوسهم اولياء مَن ارادوا لكي يتوسطوا بينهم وبين